الفكر الإصلاحي عند عمر بن قدور (1886-1932) .

أ. خليل كمال ، جامعة محمد لمين دباغين – سطيف2 – الجزائر.

مقدمة : مع مطلع القرن العشرين ، ظهرت بوادر الإصلاح مع شخصيات مختلفة منها من إستلم الوظيف في الإدارة الإستعمارية مثل الشيخ : عبد القادر المجاوي (1840-1914)، أو الشيخ عبد الحليم بن سماية (1866-1933) ، أو الشيخ المولود بن الموهوب (1866-1939) . وكانت جهودهم هي اللبنة الأولى لحركة الإصلاح والتي ظهرت بشكل منظم فيما بعد مع الشيخ عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931 .

ويعتبر عمر بن قدور الجزائري (1866-1932) رائد الصحافة العربية الجزائرية أحد هؤلاء الأقطاب الأوائل الذين ساهموا بجهدهم في التعريف بالقضية الجزائرية من خلال كتاباته المختلفة في الجرائد العربية مثل : اللواء (مصر) 1906، والحقيقة (تونس) عام 1907، والتقدم (تونس) في 1908 ، والمشير ، والوزير ب (تونس) عام 1911 .

وتأسيسه لبعض الجرائد والصحف الجزائرية مثل الفاروق عام 1913 ، أو المساهمة في مختلف الجرائد والصحف الموجودة في تلك الفترة مثل : الصديق عام 1920 ، والتقدم 1923-1924 ، ووادي ميزاب عام 1927 . والتي دعا فيها إلى آراءه الجريئة حول عديد القضايا لإصلاح أحوال المجتمع الجزائري كالدعوة إلى التكافل الإجتماعي والإتحاد عبر إنشاء مختلف الجمعيات ، والحث على النهوض والإصلاح في وجه الإستعمار .

من هنا جاءت هذه الورقة لتجيب على بعض التساؤلات وهي : هل ماقدم كمساهمات مطلع القرن يعد إصلاحا ؟ وإلى أي مدى ساهمت الصحافة العربية وعمر بن قدور في عملية الإصلاح التي عرفها المجتمع الجزائري ؟

أولا : ظهورالصحافة العربية في الجزائر : بدأت الصحافة العربية في الظهور مع الإحتلال الفرنسي للجزائر منتصف القرن القرن 19 ، مثل المبشر عام 1847 ، والتي كانت اغلبها تخدم السياسية الإستعمارية لتوجيه الرأي العام نحوها . ولكن مع مطلع القرن العشرين ظهرت صحافة عربية ، وبأقلام جزائرية مثل الجزائر وذو الفقار لعمر راسم والفاروق لعمر بن قدور[1]

ومن أهم هذه الجرائد :

1- صحيفة المغرب : كانت تصدر بمدينة الجزائر ، وباللغة العربية ، وقد اسسها بيير فونطانة ، لذلك يعتبرها البعض الملحق العربي لجريدة (المبشر) لأنها تطبع على نفقة الولاية العامة[2] . ظهر أول عدد منها يوم الجمعة 13 محرم سنة 1321الموافق ل : 10 أفريل 1903 . قال عنها الشيخ محمد عبده أثناء زيارته للجزائر سنة 1903 :

" وهي على قبح ورقها ، وسوء طبعها نافعة للجزائريين المحرومين من الصحف الوطنية العربية، التي تعرفهم بعض أحوال العالم ، وشؤون الإجتماع، فتمنى لها دوام القصد والرواج في تلك البلاد ."[3]

---

[1] - أحمد صاري : من جرائد العلماء المسلمين الجزائريين : الشاب المسلم (1952-1954) ، أعمال الملتقى الوطني : الصحافة الإصلاحية بين المقومات الوطنية والواقع ، تق: عبد العزيز فيلالي ، يوم 18 ماي 2014، قسنطينة ، الجزائر ،ص : 100 .

[2] – مفدي زكرياء :تاريخ الصحافة العربية في الجزائر ، جمع وتحقيق : أحمد حمدي ، مؤسسة مفدي زكرياء ، الجزائر ، 2003 ، ص : 39.

[3] – عبد المجيد بن عدة : مظاهر الإصلاح الديني والإجتماعي والتربوي في الجزائر – من خلال جهود الرواد المصلحين 190-1925- ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف : جمال قنان ، جامعة الجزائر، 1991-1992، ص :143 (رسالة مرقونة).

* محمود كحول :هو ابن دالي عمر كحول بن الحاج كحول الشهير بالشيخ محمود كحول ، ولد بقسنطينة سنة 1875 ، وتوفي بالعاصمة سنة 1935 ، تولى مناصب عديدة دينية وإدارية في مكتب التحرير والترجمة بالولاية العامة ، ودرس مدة طويلة بالمسجد الكبير بالعاصمة .كان أديبا لطيفا وإماما في الفقه ، وعلم الفلك أخذها عنه عدد غير قليل من الطلبة. أنظر : سعد الدين بن أبي شنب: النهضة العربية بالجزائر ، ص : 96 .

وعلى الرغم من شعارها : " جريدة سياسية ، إقتصادية ، علمية وأدبية ، تجارية " ، فقد سدت مجالا لا بأس به من المعرفة ، لكن تخطيها لمشاكل الجزائريين وهروبا من قضاياهم تركهم يعزفون عنها ، ويتحاشون شراءها وهو ما اجبرها على التوقف .

2- جريدة كوكب إفريقيا : رفعت شعار " من أجل الحضارة، ومن أجل الإنسانية " . أسسها محمود كحول*، وظهر العدد الأول منها يوم 17 ماي 1907 بمدينة الجزائر ، وقد تناولت مواضيع مختلفة بعيدة عن السياسة لأن صاحبها كان موظفا حكوميا ، وقد كتب فيها العديد من العلماء والمثقفين كالمجاوي ، وإبن الموهوب ، وحازت على شعبية واسعة في أوساط الإصلاح الديني.[1] وقال عنها عمر بن قدور : "... أما كوكب إفريقيا فإنها لم تكن إلا جريدة شبيهة بالرسمية عارية من كل صبغة وطنية ...". توقفت عن الصدور بعد إندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914.[2]

3- مجلة الجزائر : صدرت بمدينة الجزائر وحملت شعار :" هي مجلة إجتماعية علمية ، أدبية تهذيبية "، وصدر العدد الأول منها يوم 27 أكتوبر 1908 ، على يد صاحبها السيد عمر راسم ، ونخبة من الكتاب والمثقفين.[3]

وقد بين صاحبها هدفها ووظيفتها وهي : " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكشف الحجاب عن وجوه التربية النافعة ، وتسهيل التعاليم الناجعة ، وإختيار الآثار العلمية والأدبية والملح والنوادر الفكاهية ...".[4]

ورغم الجهد الذي قام به في جمع التبرعات والإشتراكات للسير بها قدما ، لكنه لم يستطع ولهذا أمام هذا العجز المالي ظهرت في ورقيتين على شكل (الملحق) لجريدة الجزائر ، ثم إختفت بعد صدور ملحقين فقط .

ورغم قصر عمرها ، إلا أنها عالجت مواضيع مهمة ، قصد الدفاع عن الأهالي والتصدي لمشروع التجنيد الإجباري ، وكثرة الضرائب التي كانت تفرض على الشعب الجزائري .

4- جريدة الإسلام : _ ظهرت هذه الجريدة في عنابة عام 1909 ، ثم إنتقلت إلى مدينة الجزائر عام 1912، ويذكر أبو القاسم سعد الله أن تأسيسها الول كان من طرف جزائري متجنس ، لكنه قليل التعليم يدعى عبد العزيز طبيبال[5] ، كما أن بداياتها كانت باللغة الفرنسية ، وفي الجزائر ترأسها الصادق دندان " ولكن إجابة لمرغوب الجمهور العظم من المواطنين الجزائريين الذين لا يحسنون اللسان الفرنسوي." [6]

وقد رفعت شعار " الدفاع والمطالبة بحقوق المسلمين الجزائريين ، وإطلاعهم على ماتنشره الصحافة الفرنسية عما يتعلق بقضاياهم السياسية ، والإقتصادية بصفة خاصة (إنارة لأذهانهم) ."[7] توقفت سنة 1913 على أبواب الحرب العالمية الأولى* .

ثانيا : عمر بن قدور الجزائر ونشاطه الصحفي : رائد الصحافة العربية بالجزائر ، ولد سنة 1886 بمدينة الجزائر ، حيث سمحت له ظروف الأسرة بالتعلم والتردد على المدرسة القرآنية (الكتاب) ، في سن الخامسة أو السادسة ، ثم إنتقل إلى دروس اللغة والأدب والفقه ، كما يشير أبو القاسم سعد الله دخوله المدرسة الثعالبية ، وفيها إحتك بشيوخه : عبد القادر المجاوي ، وعبد الحليم بن سماية .[8]

---

[1] - عبد المجيد بن عدة : المرجع السابق ، ص : 145 .

[2] - محمد ناصر : الصحف العربية الجزائرية من 1847إلى 1954 ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2007 ، ص :67 .

[3] - الزبير سيف الإسلام : تاريخ الصحافة في الجزائر ، ج4 ، م، و، ك، الجزائر، 1985، ص : 212 .

[4] - زهير إحدادن : أعلام الصحافة الجزائرية ، (عمر راسم – عمر بن قدور)، ج2، دار إحدادن للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002، ص : 46 .

[5] - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج5، ط6، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ، ص : 247 .

[6] - محمد ناصر : الصحف العربية الجزائرية ، المرجع السابق ، ص : 72 .

[7] - نفسه .

[8] - أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 277 .

لقد ساهمت أسرته في صقل شخصيته ، خاصة والدته التي شملته برعايتها وحنانها حيث يقول :" لو كنت أعلم أن هذه الدموع التي تتصبب من مقلتي تقنعني بالجواب لسألت كلف قطرة منها علام نزلت من حجرها ، وبرزت في مكمنها على تلك الوالدة التي طالما ضمتني إلى صدرها ، وقربتني لفؤادها ، واعدت لي في حضنها متكئا رحبا وضجعا واسعا ."[1]

كما لم يخف دور والده الذي كان ملازما له في صلاة الجماعة ، حيث كان ياخذه معه إلى مسجد سيدي رمضان لحضور صلاة الجماعةأو الدروس التي كان يقدمها العالم الجليل الشيخ محمد السعيد بن زكري * وخاصة في شهر رمضان المعظم .

ولقد إعتبره احد المصلحين ، والمرشدين الذين إفتقدتهم الجزائر في زمن كانت في أحسن حاجة إلى علم وإرشاد أمثاله ،ولهذا قال فيه " ... إلى الروح المقدسة ، روح أستاذنا وغامنا فقيد العلم والإسلام ، وقدوة الأعلام ومهذب الأذهان والأفهام، المرحوم الشيخ بن زكري محمد السعيد ... ."[2]

كما يتجلى تأثره بشيخ الجماعة عبد القادر المجاوي* ، والذي يكون قد درس عنده عند إنتقاله إلى الثعالبية ، أو سمع منه ، أو قرأ مختلف مؤلفاته وآثاره الداعية للتعلم ونبذ الجهل ولهذا رثاه بقوله : "... ذلك الأستاذ الذي طالما قربني إلى مجلسه ، وأفرغ على ذهني من قلبه دروسا علمية جليلة ، وتهذيبا روحيا عاليا ، ومعارف لا ادري من بعد من يصبها صبا على أذهان الرجال ... ذلك الأستاذ الذي أحسن تعليمي وتهذيبي ، فأصبحت بفضله وحسن إعتنائه بالمتعلم ، أقف هذا الموقف أبكيه ... إني لا أنسى مجالسك التي حضرتها بين يديك وكانت لي مهذبة ولبلاغتي مرشدة ... ."[3]

كما يعتبر نفسه تلميذا للمجاوي حيث يقول :" فنم هنيئا مطمئنا في روضة الفردوس يبكي عليك ضميري ، وجوارحي وجزئي وكلي ، كما يبكي عليك نفر من تلاميذتك وطلبتك النجباء الكرام الذين نالوا بفضل تعلمك ، الرتب السامية وأصبحوا هداة للأذهان وقادة للأفكار ، وانني لا أسلوك مادام القلم يتحرك في بناني لأنه على كل حال حسنة من حسنات تعليمك وإرشادك وخدمتك للغة والبلاغة ."[4]

كما لم يخف تأثره بالشيخ المولود بن الموهوب ** مفتي قسنطينة ، والمدرس بمدرسة سيدي الكتاني ، والذي إطلع على قصيدته (اللمع في نظم البدع) حيث يقول :" إذا طالعها المطالع بإمعان تذكر محامد الإسلام ، وإنتبه إلى مفتريات الكهن ، وخزعبلات النازعين إلى عبادة الجن وتقديس الشياطين ... وليس بمخطىء إذا حدثت ان اللمع حجر المرشدين ، لايفوتهم بها البرهان... فأصبح سراجا منيرا يبعث أشعته في كافة انحاء الشعب تحي القلوب ، وتنتعش الأرواح بينما ظلمات البدع والمنكرات تضمحل بين يديها وتتلاشى إلى الأبد ...".[5]

---

[1] - ساحل عبد الحميد : عمر بن قدور الجزائري – رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر – (1906- 1927) ، دراسة تحليلية ، م.و.ن. إ. الجزائر ، 2014، ص : 68 .

* الشيخ محمد السعيد بن زكري: ولد سنة 1851 ببلاد زواوة ، حفظ القرآن الكريم ، والتحق بزاوية سيدي عبد الرحمن الإيلولي ، ومن هنا تنقل من زواية لأخرى لإتمام الدراسة ، دخل مدينة الجزائر عام 1881 ، ودرس بزاوية سيدي محمد الشريف ، ثم عين مدرسا بالجامع الكبير ، كما أصبح إماما بجامع سيدي رمضان . وفي سنة 1895 إنتخب أستاذا للفقه وأصوله بالمدرسة الحكومية ، وسنة 1908 تولى إفتاء السادة المالكية ، توفي سنة 1914 . أنظر : سعد الدين بن شنب ، النهضة العربية بالجزائر ، المرجع السابق ، ص :78 (الهامش) .

[2] - مولود قرين : عمر بن قدور الجزائري – دوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1886- 1932)، دراسة في فكره الإصلاحي والسياسي ، ج1 ، دار الخليل العلمية ، الجزائر (طبعة خاصة) ، ص :80 .

* عبد القادر المجاوي : ولد بتلمسان سنة 1848 ، وقرأ بطنجة ، كما أكمل دراسته بجامع القرويين ، وعندما رجع إلى الجزائر عين مدرسا بسبيد الكتاب بقسنطينة ، ثم أستاذا بالمدرسة الحكومية ، ثم إنتقل إلى مدينة الجزائر ، حيث إستمر في التدريس وعين إماما وخطيبا بجامع سيد رمضان . توفي سنة 1913 . ومن آثاره :رشاد المتعلمين (طبع بمصر)، الإقتصاد السياسي ، القواعد الكلامية ، رسالة في مسائل الكسب والإختيار.

[3] - مولود قرين : المرجع السابق ، ص : 82 .

[4] - الفاروق ، ع80، 2 أكتوبر 1914 .

[5] - الفاروق ، ع 5 ، 16 مارس 1914 .

*** الشيخ عبد الحليم بن سماية : (1866-1933)، ولد بمدينة الجزائر ، من عائلة تركية ،درس بالمدرسة الشرعية بالعاصمة منذ 1896 ، وكان حنفيا ، وكان يدرس الشريعة ، ويقن اللغة الفرنسية والعبرية ، درس التوراة والإنجيل وكل كتب العهد القديم والجديد . تأثر بالشيخ محمد عبده وإستقبله في زيارته للجزائر سنة 1903 ، ومن آثاره : حضارة الإسلام وفلسفته ، إهتزاز الأطواد والربى من مسألة تحليل الربا . (معجم اعلام الجزائر ...ص : 68-74).

كما تأثر بالشيخ العالم الجليل عبد الحليم بن سماية*** ، وبمواقفه المختلفة خاصة من التجنيد الإجباري ، وكيف وقف إلى جانب شعبه في ظلم الإدارة الإستعمارية ، حيث وصفه : " الأستاذ العالم العلامة بن سماية البقية الباقية والجهبذ الناسك." [1]

وبذلك يتجلى لنا ان عمر بن قدور يمثل تواصلا صريحا وحقيق لرموز النهضة الأولى التي ظهرت مطلع القرن 20، حيث غرس في نفسه حب الإسلام والدفاع عن مقدسات الأمة وموروثها اللغوي ، وشكلت اللبنة التي قام عليها نشاطه الصحفي فيما بعد .

- نشاطه الصحفي : لقد بدأ عمر بن قدور نشاطه الصحفي الأول كمراسل لمختلف الجرائد المغربية ثم المشرقية ، حيث ورد إسمه في جريدة (التقدم)التونيسية منذ 1903 ، ثم جريدة (اللواء) المصرية سنة 1905 ، و (الحضارة)العثمانية الصادرة في القسطنطينية سنة 1911. لكن بصماته الحقيقية تتجلى في الجرائد التونسية ربما لقرب المنطقة ، ولهذا كتب في مختلف جرائدها ك(التقدم)و(المشير)، وجريدة (الوزير)، و (مرشد الأمة)، و (الحقيقة)، ولكنه كان ينشر بأسماء مستعارة هروبا من الملاحقات والمتابعات ومما أمضى به كاتب نابغة من الجزائر .

كما ظهر ميله في هذه الفترة لأفكار الجامعة الإسلامية ، وآراء جريدة المنار التي تدعو إلى توحيد المسلمين تحت راية السلطان العثماني ، ولهذا عارض قانون التجنيد الإجباري ، ورفض فكرة حرب الجزائري المسلم لأخيه المسلم في الحرب العالمية الأولى ، وتشتت هؤلاء المسلمين بين القوى الكبرى (الحلفاء والوسط). وبذلك بدأت معاناته مع الإدارة الاستعمارية التي بدأت تضغط عليه في الخروج من هذه الجرائد وعدم التعامل معها لكي تقطع الطريق على دخول مختلف التيارات المشرقية .

ونظرا لهذا النشاط الدؤوب في الميدان الصحفي ، والإتصال الخارجي قامت الإدارة الإستعمارية بإعتقاله سنة 1906 [2]، وبعد خروجه قرر مغادرة الجزائر نحو تونس التي إشتغل في العديد من صحفها وجرائدها ، لكنه لم يستمر طويلا حتى يعود إلى الجزائر وينقل تجربته ويفكر في إنشاء عمل صحفي حر وخاص وسيثمر ذلك لامحالة فيما بعد في جريدته المشهورة (الفاروق) .

- عمر بن قدور وجريدة الفاروق : لقد أنشأ عمر بن قدور هذه الجريدة ، والتي أخذ إسمها من إسم الخليفة العادل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- وظهر عددها الأول يوم الجمعة 22 ربيع الأول 1331ه الموافق ل: 28 فيفري 1913. وهي جريدة أسبوعية إخبارية مصورة تظهر كل جمعة* .[3]

وقد إختار لها صاحبها أقوالا مشهورة من أقوال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كقوله : " لا يعجبكم من الرجل طنطنته ، ولكن من أدى الأمانة وكف عن أعراض الناس فهو الرجل "، وقوله :" أشكو إلى الله من ضعف الأمين وخيانة القوي "[4]. وكذا قوله :" اللهم أسألك أن تفقهني بعلم وأقضي بحكم ، وأسألك العدل في الغضب والرضى به ". كما جعل لها في العدد الأول هذا الشعار :

قلمي لساني ثلاثة بفؤادي ديني ووجداني وحب بلادي

ويظهر من خلال هذا الشعار أن (الفاروق)ركزت جهدها على محاربة البدع والخزعبلات ، والمنكرات التي تفشت في المجتمع وروجت لها بعض الطرق الصوفية الفاسدة ، وهي تدعو إلى العودة إلى روح الإسلام ونقاوته ومنابعه الصافية . وتحارب كل دعاة الجمود والتحجر الذين يقفون سدا منيعا أمام كل تطور أو تقدم .

ويعتبر صالح خرفي أن إختياره للفاروق ، وإمضاءه لمقالاتها بإسم (أبو حفص) مايدل على عراقته في دينه وحبه وإعتزازه بماضيه ، وتطلعه إلى تاريخ إسلامي يعيد نفسه ليمثل فيه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- في صدر الإسلام. [5]

---

[1] - مولود قرين : المرجع السابق ، ص : 84 .

[2] - ساحل عبد الحميد : المرجع السابق ، ص : 77 .

[3] - الفاروق ، ع1، 28 فيفري 1913 .

[4] - صالح خرفي : عمر بن قدور الجزائري ، م.و.ك . الجزائر، 1984، ص : 9 .

[5] - نفسه ، ص : 18 .

وقد بين أهداف جريدته في عددها الأول بقوله :" ... هي جريدة إصلاحية بعيدة عن السياسة، لايهمها إلا الدفاع عن قيم الإسلام وشخصية المسلمين الجزائريين... ". [1]

ويعدها محمد ناصر ، أول جريدة وطنية ترتقي إلى مصاف الجرائد العربية المعتبرة ، وكانت إسلامية ، وطنية ، كثيرا ما إهتمت بقضايا المسلمين ونقلها أخبارهم ، وشرحت أفكارهم . وكتبت ذلك في إفتتاحيتها بأنها " جريدة إسلامية بكل معاني الكلمة ، تبحث في شؤون المسلمين مع مراعاة الإعتدال الذي إنتقته مشربا لها ."[2]

لقد صدرت الفاروق في ستة وتسعين (96) عددا. بعد عامين من الصدور ، وتم تعطيلها ونفي صاحبها إلى الأغواط . وبعد عودته أعاد صدورها في شكل مجلة أسبوعية إستمرت إلى عام 1921 .[3]حيث توقفت نهائيا ، وتقدم رئيسها بإعتذاره للقراء قائلا: "... بناء على ماتحرض به المتحرضون ، وإفتراه المفترون من إلصاق ونسبة مقالات نشرت في (التقدم) إلي ، فإني أعلن صراحة باني عطلت الفاروق ، وفارقت السياسة ، وإجتنبت كل خوض فيما يخص الجرائد ،ولازمت العزلة التامة."[4]

ثالثا : آراءه ومواقفه من بعض القضايا المختلفة :

أ- القضايا الداخلية :

- **محاربة البدع والخرافات :** لقد أخذت جريدة الفاروق على عاتقها منذ نشاتها وعلى لسان صاحبها محاربة التخلف، والجمود الذي يتخبط فيه المجتمع الجزائري ،والذي يعود سببه إلى بعض الزوايا والطرق الصوفية التي سماهم بالقائمين على الدين الإسلامي ، حيث حملهم المسؤولية بقوله : " في وسط المزدحم يجورون مع الجائرين ، ويحكمون مع الحاكمين ، ويلعبون مع الاعبين ، ويمكرون مع الماكرين ، ويغدرون مع الغادرين ، ويدوسون ذلك العلم وذلك الدين وتلك المعارف التي حملوها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) .[5]

كما صور لنا حالة التخلف والبؤس التي تعيشها الجزائر بسبب هؤلاء الذين شوهوا الدين الإسلامي بسبب جهلهم وحمقهم فيقول:

من جنيات الرجال العلما	أصبح الدين عدو النفس
إن رماه الخصم نادى حسبما	قلتم الدين ضعيف ومسى
إفتكر في طيحة الدين ترى	زيغ اهل العلم كان السبب
كم حلال حرموا وكم حرام	أحلوا حينما نالوا الذهب[6]

ولهذا نجده يدعو إلى ضرورة إستعمال العقل لفهم الدين الإسلامي ، لأن الإنسان الذي يستعمل عقله يكون تفكيره صحيحا وسليما وفي هذا يقول : " ... أجل خلق الله الإنسان في تفكيره حرا ، وجعل حريته قابلة للزيادة والإضمحلال ، ووهب له عقلا لا حدود له إذا إنتشر في الوجود وعمر به زوايا الكون الفارغة... وما أراد به إلا أمرا واحدا وهو بإختصار أن يكون منتفعا من ذلك العقل ..."[7]

وفي رفضه لهذا الوسط المتخلف ، ولرواده من الفاسدين نجده يشيد دائما بأساتذته وعلماء الجزائر رواد النهضة العربية والإسلامية الذين عاشوا مطلع القرن العشرين . وهي دعوة صريحة للتجديد .

---

[1] - الفاروق، ع1، 28 فيفري 1913 .

[2] - محمد ناصر : الصحف العربية الجزائرية ، المرجع السابق ، ص : 74 .

[3] - مولود قرين ، المرجع السابق ، ص : 116 .

[4] - صالح خرفي : عمر بن قدور الجزائري ، المرجع السابق ، ص : 19-20 .

[5] - مولود قرين ، المرجع السابق ، ص : 138 .

[6] - الفاروق ، ع15، 26 مارس 1913 .

[7] - الفاروق ، ع 23 ، 1 أوت 1913 .

- الدعوة إلى تعليم المرأة وترقيتها : لقد أولى عمر بن قدور المرأة الجزائرية حيزا مهما وكبيرا في تفكيره ونشاطه الإصلاحي وبعده التنويري ، حيث إعتبر أنه من الخطأ تغييب هذا العنصر البشري عن دوره الحيوي في بناء المجتمع . ولهذا يقول أن الخلل موجود في الحركة التهذيبية عند الشرقيين إن صحت دعوة المختل حركة تليق نسبتها إلى التهذيب ، و أظهر وجوه هذا الخلل إثنان أولهما حرمان المرأة من التغذي بلبان المعارف ، والثاني قصر تعلم الرجل على قواعد اللغات .[1]

كما نصح بتربية النشء والإهتمام بالبنات والبنين دون إحداث فرق في ذلك . لأن النهوض بالمجتمع يتطلب الإعتماد عليهما مع بعض ، ولهذا وجه خطابه لكل الفاعلين في القضية من مفكرين وعلماء ، وأغنياء وأولياء ، وبين ثمار ذلك على الجميع حيث قال :" البنات والبنون كلهم عرضة لهذا الويل الشديد المقبل عليهم والمقبلون عليه ، يخشى عليهم منه لأنهم جاهلون أبناء جاهلين ، وأشقياء خرجوا من أشقياء ، وأغبياء أنجبهم أغبياء ...".[2] ولهذا طالبهم بإرسال أبناءهم وبناتهم إلى حلق العلم ومجالس التعلم لما لها من فائدة قائلا :"...لا شك أن المسلمين ينكرون المنفعة العامة التي تعود على الجامعة من تعليم المرأة ، فصاروا يعدون ذلك بهتانا عظيما وفسقا لا يغتفر إثمه ... وقد تخيل لهم أن ماوراء ذلك فرقا للناموس وخروجا عن الأداب القومية وتمزيقا للشعائر الدينية ، وغنهم لصادقون لو كان التعليم موقوفا على النظام الأجنبي الطارىء، ولكنا نقول لهم إبعثوا في المرأة المسلمة روح الآداب الدينية ...".[3]

وهنا تتجلى لنا نظرة عمر بن قدور ورسالته إلى تحصين المرأة عبر تعليمها شرعيا حتى تتصدى لدعاة التغريب والفرنسة ، الذين يحاولن إخراجها من الفضيلة إلى السفور بدعوى التحضر والحداثة .

- رفض قانون التجنيد الإجباري : عندما شارفت الحرب العالمية الأولى (1914-1918) على الاندلاع ـ بدأت فرنسا تستعد لها ، وتحشد نفسها ومستعمراتها للدفاع عن الجمهورية عن طريق إصدار القوانين الإستثنائية كقانون التجنيد الإجباري الذي صدر في الجزائر يوم 3 فيفري 1912 ، والذي أحدث زوبعة سياسية داخل ممثلي الشعب وأبنائه . وهاهو الشيخ عبد الحليم بن سماية يتصدى له في المجلس البلدي للعاصمة ويعلن "... إن المسلمين إذا أرادوا الخدمة العسكرية للدولة الفرنسوية لا يكونون مسلمين بجميع معاني الكلمة ...".[4] وهذا لأنه يسمح بقتال المسلمين بعضهم لبعض ، خاصة الحرب ضد الدولة العثمانية التي كانت ضد فرنسا ، والتي أفتى بحرمة قتالها مذكرا بأنهم من أمتنا و لا يجوز قتالهم .

أما عمر بن قدور فيرجع إهتمامه بقضية التجنيد الإجباري منذ 1908 ، حينما كان مشروعا فقط يتداول في أروقة الولاية العامة ، وذلك من خلال كتابته في جريدة (التقدم) التونسية ، وجريدة (الحضارة)العثمانية .

وأول ما إهتم به وشد إنتباهه هي ظاهرة الهجرة نحو الشرق والغرب . بسبب سوء الأحوال وصعوبة العيش و الجفاف وكثرة المجاعات ، وإن رأت فيها الإدارة الإستعمارية تحريضا من الدولة العثمانية لإضعاف الجبهة الداخلية لفرنسا ، وزعزعة إستقرار مستعمراتها ن ولهذا إعتبرها بن قدور كارثة لأن أساس هذه الهجرة والنزوح هو المظالم الفرنسية ، وإستيلاء المعمرين على ممتلكات المسلمين في الجزائر ، ولهذا كتب :" إن الدافع الوحيد لمواطنينا إلى الجلاء عن أوطانهم وإبتغاء أوطان أخرى قريبة ليس إلا الحيف الذي لحقهم من جراء جور الحكام وكثرة الضرائب والمظالم الواقعة على كواهلهم . إن الفاقة أرخت سدولها على إخواننا المساكين بسبب الضرايب والأعوام المجدبة ، وإستيلاء الأجنبي على تربتهم الجيدة الخصبة " .[5]

---

[1] - الأخبار ، 8 نوفمبر 1912 .

[2] - الفاروق ، 19 ديسمبر 1913 .

[3] - الفاروق ، ع 38، 28 نوفمبر 1913 .

[4] - المشير، ع31 ، 10 سبتمبر 1911 .

[5] - الأخبار ، 2 أكتوبر 1910 .

لكن السبب الحقيقي للهجرة تحاشى عمر بن قدور ذكره ، وحصرها في الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية ، حتى لايبين فرار وهروب الشباب الجزائري من التجنيد ، وهو نوع من المقاومة والرفض التي سلكها المجتمع الجزائري كي لا يتورط في حرب لا تعنيه ، وإستجابة لدعوة علماء الجزائر بحرمة قتال المسلمين في الحرب العالمية الأولى .

كما دعا إلى إدخال إصلاحات على الدستور الفرنسي ، وتقديم المزيد من الحرية للشعب الجزائري لكي يشعر بكرامته ، وإحترامها لدينه، ومن هنا يبين الرفض الصريح للتجنيد بقوله :" ...إن مسلمي الجزائر لا يخضعون أبدا لأمر فرنسا في تجنيد أبنائهم ، وتجهيزهم في البعوث ، وشن الغارات دون أن تنزع تلك الغلاط والهفوات من دستورها وتمنحهم الحرية التامة."[1]

ورغم ماتجلى من موقف عمر بن قدور من هذه القضية إلا أن الأستاذ جمال قنان لم يلمس هذه المواقف جيدا ، وعاب عليه بعده عن السياسة[2] ، وإعتبر موضوع التجنيد الإجباري لم يحركه، ولم يثر مشاعره على عظمه وقوة تأثيره في الشعب الجزائري . لكن الواقع أن عمر بن قدور قد إستعمل في البداية التقية السياسية ولم يعلن عن رفض الشعب مباشرة ، ولم يقف موقفا معاديا لإدراكه وقناعته بالقوة الإستعمارية ، ولما إكتمل لديه المشهد جيدا عجت الفاروق وغيرها بآراءه الواضحة الصريحة الرافضة للتجنيد الإجباري لما له من آثار سلبية على الشعب الجزائري .

ثم طالب في حال تنفيذ هذا المشروع على شباب الجزائر عدم إجبارهم على محاربة المسلمين مثلهم ، وهذا مايفسر إستمرار رفضه لهذا المشروع ، ودفاعه عن أبناء وطنه الذين وصفهم بأنهم محقون في رفضهم له، لأنهم لاينالهم من هذه الظروف نفسها إلا الضغط الشديد ويسمعون في كل وقت مايخل بأحاسيسهم الدينية وشعائرهم القومية .

- **الدعوة إلى العلم والتعليم :** لقد كان عمر بن قدور واعيا بالوضع الذي يعيشه الشعب الجزائري من الجهل والتخلف مستشعرا أثره ونتائجه ، حيث إعتبر الجهالة من أسباب فناء الشعوب ولهذا قال : " لم يروي (كذا) لنا التاريخ في مابين صفحاته أن شعبا بتمامه صبر على ضير الجهالة الشنيع ، وإختار بيوت السكوت والخنوع و(التيه)في سبات الكسل مسكنا ، ثم أداه ذلك الصراط المعوج إلى حياة ونعيم ...".[3]

فهي دعوة للنهوض ، والتمرد على الجهل ، والسعي قدما نحو التطور والعلم . كما اكد أن جهل الأبناء هو من جمل الآباء وتفريطهم في حقوقهم وحقوق أبناءهم. وكلما سيطر الجهل على الكبار قدموا مثلا وتربية سيئة للأولاد ، ولهذا نبذ الجهل وحذر منه ، لن مستقبله مظلما على الأبناء فقال :" البنات والبنون كلهم عرضة لهذا الويل الشديد المقبل عليهم والمقبلون عليه ، يخشى عليهم منه .."كما حمل العلماء المسؤولية في ذلك لضرورة ترغيب المجتمع في العلم ونشره بينه. لأن المسؤولية تقع على الجميع من أولياء وعلماء ومثقفين للنهوض بالمجتمع الذي أهمله الإستعمار وغرق في وحل الجهالة والتخلف .

كما طالب بضرورة تعميم التعليم في وسط الجزائريين على غرار الأوروبيين ، وفرضه وإجباره حتى ينهض الجميع ، لكن هذه النداءات لم تكن لتلقى رواجا أو آذانا صاغية لأنها ليست من أولويات الإستعمار، الذي يهدف إلى إبقاء المجتمع الجزائري فقيرا ومتخلفا ليثبت تفوقه ، ومن هنا جاءت نداءات عمر بن قدور للمجتمع الجزائري بضرورة تحمل مسؤوليته والنهوض والمشاركة في تعليم أبنائه مادامت الأبواب مغلوقة فقال : "... لقد إمتلأت مدارس الدولة ، وبقي السواد الأعظم من الأطفال المسلمين بلا تعليم ، أي بلا حياة . في الحقيقة ولا إستعداد لقبول الحياة ، فوجب على مجموع أفراد الشعب بداعي الضرورة وجوبا عينيا أن يقوموا ببذل وسعهم في إحياء هذه الأعضاء الميتة ...".[4] هذه الرسالة التي أتت أكلها مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي فهمت واقع الشعب الجزائري ، وآلت على نفسها تعليم الشعب

---

[1] - المشير ، ع30، 3 سبتمبر 1911 .

[2] - جمال قنان : دراسات في التاريخ المعاصر ، منشورات وزارة المجاهدين ، الجزائر ، 2009، الجزائر، ص : 94 .

[3] - الأخبار، 9 نوفمبر 1913 .

[4] - التقدم ، 1 جانفي 1924 .

الجزائري ، وفتح المدارس دون النظر إلى الإستعمار أو إنتظار حسناته عليها ، فشكلت دعوة عمر بن قدور معينا نهلت منه الجمعية ، وباقي النوادي والأحزاب التي إعتمدت على نفسها للنهوض سواء في مدارسها أو برامجها أو إطاراتها ، وإستطاعت تحقيق نتائج محمودة برزت أثناء النضال السياسي أو الثورة التحريرية .

ب- القضايا الخارجية :

- **الدعوة إلى تأسيس جامعة الصحافة الإسلامية :** يعتبر عمر بن قدور أن النشاط الصحفي هو الوسيلة الحقيقية لمعالجة مشاكل المجتمع الجزائري ، وهذا من خلال تشخيص الداء ووصف الدواء الحقيقي للعلل المتفشية فيه ، ولهذا دعا لإلى ترشيد العمل الصحفي وتنظيمه من خلال جمع الصحافيين المسلمين في هيئة أو تكتل أو نقابة حتى سماها **جامعة الصحافة الإسلامية** في قوله :"... أدعوكم معشر الرصفاء إلى الإتحاد ، ولكن عملا لا قولا ، فتعالوا نمكن من قلوبنا تأثيرات الإتحاد الذي يأمرنا به الإسلام... فتتواطىء على تشكيل جامعة الصحافة الإسلامية تكون لها نقابة ومجلس ورئيس وصندوق... وتعقد مؤتمرا سنويا في رأس كل سنة في عاصمة من العواصم الإسلامية ، تنهم منه الأمة المحمدية أعمالنا ، وأن أعمالنا لا تقف عند حدود القلم والورق فقط..." .[1]

ويتضح من هذه الدعوة هو جمع الشمل ، والإنتقال إلى العمل الميداني ، وبالتالي فهو خطوة أولى للإتحاد المسلمين تحت شعار ودعوة الجامعة الإسلامية التي نادي بها كل من الشيخ جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، وإنتقلت إلى مختلف أرجاء العالم العربي والإسلامي .

كما شدد على المهمة النبيلة للصحافة في دفع الأمة للنهوض وشحذ الهمم، ولهذا إشترط تنظيمها في نقابة لتوحيد الرؤى، وتخطي العجز المالي الذي تعاني منه مختلف الصحف العربية والإسلامية، والتضييق بسبب الإستعمار .

- **عمر بن قدور والمسألة المراكشية :** لقد أثبت عمر بن قدور على إنفتاحه على القضايا الخارجية ، سواء ماتعلق بالمسائل العربية أو الإسلامية من خلال كتاباته الباكرة في مختلف الصحف (الأخبار) أو (الحضارة)، أو العناوين المختلفة التي حملت همومه وهموم الجزائر المكسورة تحت ظلم الإستعمار .

ومن القضايا التي شغلت فكره وقلمه التكالب الإستعماري على المغرب الأقصى أوبلاد مراكش الشقيقة ، حيث عاصر مرة أخرى إندحارا وسقوطا سياسيا مس العالم الإسلامي ، ووقوفه عند الأزمة المراكشية وفرض الحماية الفرنسية عليها سنة 1912، على الأسباب الحقيقية وراء هذه الحملة الإستعمارية المسعورة ، حيث إعتبر ذلك من سنن الله في خلقه والتي تقوم على نهوض أمم وسقوط أخرى .

فقد كتب :" حكمت سنة الكون – ولا معقب لحكمها- أن يكون للضعفاء في هذا العصر رمس أبدي تدفعهم إليه أيد قوية متسلطة ، لاتبرح أن تضربهم ضربة قاسية عند القاضية ، وهذه البلاد المراكشية بعد أن قضت أمدا طويلا تتحرك فيه في ظروف حرجة أوشكت أن تقع فيما وقع فيه زملاؤها من الضعفاء...".[2] وخوفا من المتابعة والرقابة المفروضة على الصحف ، بين أنه ليس بصدد النقد لفرنسا التي تسعى لنشر المدنية ، إنما يقصد الإستعمار الذي يهدف إلى إخضاع الشعوب وإستعبادها ، ولكن حسبه النصح ولهذا قال :" ... إني لا انتقد سياسة فرنسا في مراكش بنوع خاص ، بل انتقد تلك الأجهزة التي إعتادت أوربا أن تستعملها كلما أرادت أن تضر بأمة شرقية، وإني أنتقد تلك الأجهزة ولو تكون في تركيا نفسها..." .[3]

---

[1] - صالح خرفي ، عمر بن قدور ، المرجع السابق ، ص : 120 .

[2] - الأخبار ، 13 أفريل 1911 .

[3] - المشير ، ع 19، 4 ماي 1911 .

وبذلك تتجلى لنا حنكة عمر بن قدور في الإلتفاف على الإدارة الإستعمارية في محاولة إيصال صوته والتعريف لهذه القضية ، خاصة أن السلطان المغربي هو الذي آثر هذا الوضع في ظل الصراع الأوربي حول القضية المراكشية .

- **عمر بن قدور والقضية الطرابلسية :** كان من بين القضايا التي حركت مشاعر العرب والمسلمين ، والتف حولها الجميع ومنهم عمر بن قدور ، القضية الطرابلسية والعدوان الإيطالي سنة 1911 ، وتحت عنوان (طرابلس للطرابلسيين) ، نشر أخبار المقاومة التي كانت تصله من مصر حيث يكتب تقاريره من مصادر مطلعة . كما قام بنشر خطبة المجاهد سليمان الباروني مؤسس الجمهورية والذي إلتقى به فيما بعد في الجزائر سنة 1914 .[1]

كما شكلت كتاباته ومقالاته نبراسا يستنهض بها الهمم للتصدي للعدوان الإيطالي ، وفضح الأطماع الغربية على العالم العربي والإسلامي القائمة على نشر الفتن والأكاذيب بين المسلمين قصد تشتيته والسيطرة على أجزاءه ، وقد كتب :"... وتنصب الدسائس على بلاد العرب ، وتروج فيها الأكاذيب الأجنبية ، وتقوم فيها الفتن في كل ناحية ، وتنهك حرمات بيضة الإسلام ويزدري بها أهلها، ويتبرأ منها ذووها، هناك يود كل واحد لو أن رأسه حز عنه ونخيل واحة طرابلس الغرب وبرقة دون أن يعاين هذا المصاب الجلل . " [2]

كما إلتفت إلى الدولة العثمانية محذرا مرة، ومعاتبا من موقفها السلبي المتخاذل في نصرة الإسلام والمسلمين في ليبيا ، التي كانت خاضعة لإدارتها ، لكن حسب عمر بن قدور قد باعتها لإيطاليا ولهذا قال :" فالواجب أن لاننسى من أسلم ضعيفا لقوي يفتك به ، إلا إن الفتك سيلحقه بأفظع صورة ولو بعد حين ، من حيث لا يدري أنه مفتوك أو مقتول ..."[3]

وبعد عجز الدولة العثمانية في حماية طرابلس الغرب ، وقف مشدوها أمام تخاذل الجميع عربا ومسلمين ، الذين أصبحوا فريسة سهلة أمام الإستعمار الذي لم يتقدم شبرا في طرابلس الغرب بسبب المقاومة الباسلة حيث قال : إن الحرب لم تزل في هيأتها ، وكيفيتها الإبتدائية ، فلم ينقل القتال من سواحل اليم قط ، فلماذا سكنت ياترى تلك الحركة القلمية والشعرية والحماسية والإجتماعية والعلمية التي كانت تجول كلما جال الليوث المجاهدون في دار الحرب...".[4]

ويبدو انه كان معجبا بنضال وبطولات الليبيين الذين قاموا ببسالة ضد العدو رغم ضعف الإمكانيات ، وقلة السند والدعم ، وخاصة من الدولة العثمانية ، وقد خلد بطولاتهم في قصيدة نشرها بعنوان (فتاة طرابلس الغرب) وجاء فيها:

رعى الله قوما في طرابلس الغرب	تبين فضل الشرق منهم على الغرب
خلاصة أسلاف كرام وأمة	تلاشت نعوت الغير في نعتها الرحب
رجال أبوا ان يضمحل فخارهم	أمام العدو النهم في طلب النهب
فأصلوه نار القهر درءا لبغيه	وأبدوا مزايا الحزم والعزم على قلب
وصانوا دمار الشرق والشرق مشرف	على حيرة تفضي إلى الموقف الصعب

رابعا : قالوا في عمر بن قدور الجزائري : توفي عمر بن قدور سنة 1932 عن عمر 45 سنة ، تاركا خلفه رصيدا صحفيا غزيرا ، ورأي لم يتزحزح عنه إلى آخر يوم في حياته. كما ترك عديد التآليف والشرح المختلفة التي تنم عن علم غزير، وخلف وراءه إسما لامعا في عالم الصحافة بلغت شهرته الأصقاع ـ فشهد له العدو قبل الصديق بفضله في نشر الرأي والحقيقة حول الجزائر والعروبة التي عاش لأجلها ورحلا وهما لا تبرحان فؤاده .

---

[1] - ساحل عبد الحميد : المرجع السابق ، ص : 445 .

[2] - صالح خرفي : عمر بن قدور الجزائري ، المرجع السابق ، ص : 107 .

[3] - الفاروق ، 9 ماي 1913 .

[4] - عمر بن قدور : ليقوا الله في طرابلس ، الثقافة ، ع1، مارس 1971، الجزائر ، ص : 82-86 .

ومن هنا قال فيه صاحبه وصديقه بن عيسى :" كان الفقيد جامعا مانعا لأوصاف الرجال العظام بما قدمه من الخدمات لبلاده، ولجامعة المسلمين بقلمه وبلسانه ، وبعلمه الغزير وبنصحه الوفير ، مع الإخلاص التام والإنقطاع لخدمة الصالح العالم ، ولا أدل على ذلك من تضحياته في سبيل إعزاز أمته تلك التضحيات التي سببت في إبعاده من العاصمة إلى الأغواط..." [1]

كما قال فيه المؤرخ أبو القاسم سعد الله ، توفي عمر بن قدور مبكرا ، وكان ذلك في وقت وجدت فيه الجزائر نفسها على يد الأمير خالد وإبن باديس وأنصارهما، وكان يمكن لأبن قدور أن يلعب دوره ضمن المدرسة الإصلاحية التي دعا إليها من قبل، وأن يؤلف الجماعة التي كان يحلم بها- جماعة التعاون الإسلامي- على مستوى مفكري المغرب العربي .[2]

خاتمة : بعد هذه الدراسة المتواضعة عن شخصية عمر بن قدور الجزائري (1886-1932)، وإسهاماته الصحفية وآراءه الإصلاحية نستنتج أن :

أولا : يعتبر عمر بن قدور الجزائري أب الصحافة العربية دون منازع ولا ريب ، ولا يشك في ذلك إلا حاقد أو مغرض لأسبقيته في هذا العمل ولطول فترته ، وكذلك لمساهماته المختلفة في الخارج قبل الداخل حيث وضع لنفسه إسما سبقه إلى العمل في الداخل .

ثانيا : يعتبر عمر بن قدور صحفي، وكاتب ومتصوف وشاعر، حيث جمع هذه الصفات كلها التي تدل على نبوغه وتجاوزه لعصره ، ولهذا شكل علامة فارقة في عالم الصحافة العربية .

ثالثا : لقد كان عمر بن قدور المدافع عن قضايا الجزائريين ، الحامل لهمومهم المعبر عنها في أعمدة جريدته التي كانت منبرا حقيقا لصوت الحق ، ففيها دافع عن المرأة وطالب بحقوقها في المساواة والتعليم ، كما دافع عن مصالح الجزائريين ورفض التعسف والتجنيد .

رابعا : لقد تصدى عمر بن قدور للمشروع التغريبي و(الفرنجة)، وإعتبر أصحابه دعاة للإستعمار وأبواقه في حربه على الإسلام ، ودعا أصحاب هذا التيار إلى التوبة والعودة إلى الإسلام على غرار ما نادى به العلماء الأولون : كالمجاوي وإبن سماية وإبن الموهوب...

خامسا : إهتمام عمر بن قدور بقضايا العرب والمسلمين والمنافحة عنها وتتبعه لأخبارهم ، وهذا ماوجدناه على صفحات جريدته حول القضية المراكشية ، أو قضية الليبيين وحتى الدولة العثمانية ، رغم المتابعات والمضايقات المتكررة من الإدارة الإستعمارية والتي دفع ثمنها غاليا بالنفي إلى الأغواط والعزلة .

---

[1] - الوزير ، وفاة رصيف كبير، 18 فيفري 1932 .

[2] - أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ص : 281 .